## ٥٢ - باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

**في الصحيح عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة ؛ فإن الله لا مكره له».**

**ولمسلم: «وليعظم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه».**

**فيه مسائل:**

**الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.**

**الثانية: بيان العلة في ذلك.**

**الثالثة: قوله: «ليعزم المسألة».**

**الرابعة: إعظام الرغبة.**

**الخامسة: التعليل لهذا الأمر.**

---

### الشرح

بعدما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى بابا في الأسماء الحسنى وتكلمنا عليه بما يسر الله سبحانه وتعالى وذكر بابا آخر بعده في أنه لا يقال: السلام على الله، وذكرنا مناسبة ذلك الباب للباب السابق ذكر المؤلف هنا هذا الباب كأنه ،. بالشطر الثاني من قوله تعالى ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ فكأنه هنا أراد أن يتكلم على بعض ما يتعلق بآداب الدعاء، والمحاذير التي ينبغي أن يجتنبها الداعي في دعائه، فكأن هذا الباب والباب السابق تكميل للباب الأول ﴿**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها**﴾ وهذه المسألة التي يتكلم عليها المؤلف

هي في الحقيقة جزء من مسائل الدعاء التي ينبغي لكل داع أن يتعلمها، وقد اهتم أهل العلم بهذا الباب، باب الدعاء، ولعل الكثير من الناس لا يعرف أهمية ذلك، الدعاء سلاح المؤمن،

جاء ذلك في حديث ضعيف أن الدعاء سلاح المؤمن

فإن الدعاء من المؤمن ينال به إحدى ثلاثة أشياء:

إما أن يجاب

أو يدخر له من الأجر في الآخرة،

أو يدفع عنه من السوء مثل ما دعا،

فهو في خير على كل حال، لذلك يقول ابن الجوزي رحمه الله فيما نقله الحافظ في الفتح: دعوة المؤمن لا ترد،

لذلك الصحابة عندما أخبرهم بذلك النبي الكريم ﷺ قالوا: إذا نكثر، إذا كان هذا الخير كله في الدعاء قالوا إذا نكثر، فقال: الله أكثر، رواه أحمد وهو حديث صحيح، فمهما أكثرت من الدعاء ومهما طلبت فإن هذا لا ينقص مما عند الله جل وعلا شيئا، كما جاء في الصحيحين «**يمين الله ملأى سحاء الليل والنهار**» سحاء يعني دائمة العطاء، يعطي سبحانه وتعالى ويجود بالنوال والعطاء قبل السؤال سبحانه وتعالى.

«**سحاء الليلَ والنهارَ**» النصب على الظرفية أو «**الليلُ والنهارُ**» على الفاعلية «**لا يغيضها نفقة**» يعني لا ينقصها نفقة، (أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض، فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه) أي لم ينقص ما في يمينه سبحانه وتعالى.

إذا من كان هذا شأنه سبحانه وتعالى فكيف يترك سؤاله وكيف يترك دعاؤه، فأنت لا تزال في خير ما زلت داعيا،

يقول أحد التابعين وهو مطرِّف بن عبد الله يقول: نظرت في مبتدأ هذا الأمر وفي تمامه فوجدت ملاك ذلك كله في الدعاء، يعني وجد الدعاء مفتاح الخير ومفتاح الخيرات وهو أول الأمور وآخرها.

لذلك جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء، فإذا وفقت للدعاء علمت أن الإجابة فيه.

ومن المهم جدا للداعي أن يعرف بأن الذي يوفق العبد للدعاء هو الله والذي يجيب دعاءه هو الله، يعني أن الدعاء مبدؤه من الله وتمامه عليه سبحانه وتعالى، وهذه مسألة مهمة،

يوجد أناس كثيرون لا يبالون بالدعاء، ولا يتأدبون بآدابه ولا يعرفون آداب الدعاء لأمور كثيرة، لغفلتهم، لانشغالهم، فهؤلاء محرومون، محرومون من الأجر والثواب، محرومون من الإلحاح على الله جل وعلا،

فذاك العبد محروم من أن يرفع يديه إلى كريم جواد يعطي ويجود بغير سؤال، ولا يُسأل جل وعلا عما يفعل،

أما الداعي الذي يدعو فإن دعاء الداعي لربه جل وعلا يتضمن عدة فوائد وعدة مسائل أشار إليها الإمام ابن عقيل رحمه الله تعالى صاحب كتاب الفنون، (ابن عقيل الحنبلي له كتاب اسمه كتاب الفنون ثلاثمائة مجلد لكن عدد من أهل العلم لم يقف منه إلا على شيء يسير،حاشية)

يقول ابن عقيل: إن الدعاء، إذا دعا الداعي فإن هذا فيه معان وهذه المعاني ذكرها شارح الطحاوية في آخر الطحاوية.

من هذه المعاني أنه يدعو غنيا، يعني في الدعاء إثبات الغنى وإثبات اسم الغني، فإن الفقير لا يدعى، لا يوجد أحد يسأل فقيرا وإنما الذي يُسأل هو الغني، فالله جل وعلا اسمه الغني ووصفه الغنى وله تمام الغنى وكماله وهو الذي وهب الغنى لكل غني سبحانه وتعالى،

ومن تلك المعاني: إثبات السمع والبصر، لأن الذي لا يسمع ولا يبصر لا يدعى، ومنها: إثبات الجود والكرم، لأن البخيل لا يدعى، ولا يعطي ولا يجود،

ومنها: إثبات الحياة، فالله جل وعلا هو الحي القيوم، فإن الميت لا يدعى، معاني عظيمة، تتضمنها دعوة الداعي، لذلك فإن الذي يغفل عن الدعاء ويترك الدعاء قد ظلم نفسه وحرم نفسه من خير كثير، لذلك النبي ﷺ وهو على المنبر في حديث النعمان بن بشير قال: «**إن الدعاء هو العبادة**» وتلا قوله تعالى ﴿**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**﴾ ﴿**وقال ربكم ادعوني**﴾ أمر بالدعاء،

(قال ربكم) من الذي يدخل في هذا الخطاب، يدخل فيه ابتداء أهل الإيمان، ثم يدخل فيه غير المؤمنين بالربوبية العامة، فإن الله جل وعلا قد يستجيب دعاء غير المؤمن ويعطيه سؤاله من جنس إعطائه الرزق والعافية وغير ذلك، ﴿**فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون**﴾، ﴿**وقال ربكم ادعوني**﴾ فهذا الأمر الكريم من الله جل وعلا موجه لأهل الإيمان، و﴿**ادعوني**﴾ فيها إشارة وتنبيه على الإخلاص، ادعوني، ادع الله جل وعلا، لا تدع ميتا ولا ملكا من الملائكة ولا وليا ولا

مقبورا ولا خشبة ولا صليبا، ادعوني، ثم وعد بالوعد الكريم ﴿**أستجب لكم**﴾ ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾ كلمتان متعاقبتان، ادعوني أستجب، ليس بينهما أي فاصل .

لكن جاء في الأحاديث أن العبد هو الذي يحرم نفسه يقول: دعوت فلم يستجب لي، فيستحسر ويدع الدعاء، كما جاء في الحديث الصحيح «يستجاب لأحدكم ما لم يدع بإثم ولا قطيعة رحم وما لم يستعجل» فقالوا: وما الاستعجال؟ قال: «يقول: دعوت فلم يستجب لي» أو «فلم أُر يستجب لي» فيستحسر وينقطع ويدع الدعاء، ويترك الدعاء، ولا يعلم أنه بدعائه هذا ينال واحدة من ثلاث كما سبق، إما يجاب وإما يدخر له مثلها أو يدخر له أجرها أو يدفع عنه من السوء مثلها.

إذا فالعبد لا يزال في خير ما دعا، والله جل وعلا يحب الإلحاح في الدعاء ويحب الطلب الجازم في الدعاء، يحب العبد الملح الذي يدعو، لذلك جاء في الحديث الذي رواه أبو داود بسند صحيح: أنه ﷺ كان إذا دعا دعا ثلاثا وإذا استغفر استغفر ثلاثا.

من الذي يفعل هذا، كثير من الناس يستعجل في الدعاء، وكثير من الناس عندما تقع عليه المشاكل أو المصائب أو البلايا كأنه يقنط ويدع الدعاء، فالدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وقد جاء في الحديث الصحيح في المستدرك: «لا يرد القدر -أو القضاء- إلا الدعاء»،

لكن كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه الجواب الكافي:

كما أن السلاح بضاربه، السلاح بضاربه ليس بحده فقط، فكذلك الدعاء بحسب الداعي وتأدب الداعي بآداب الدعاء

**كما أن السلاح بضاربه ليس بحده،** يعني شخصا عنده سكين أو سيف، مثلا أو مسدس، هل يكفي هذا فقط لإصابة الهدف أو للإتيان بالمقصود؟ الجواب: لا، كيف ذلك؟ يعني ممكن تعطي هذا السكين أو هذا السيف لطفل وتقول له: اذبح هذه الشاة، أو حتى اذبح هذه العصفور، لا يستطيع، لأن اليد التي تحمل السكين ليس عندها قدرة على القطع أو الذبح، قد تعطي هذا السكين لإنسان قوي جدا تقول له: خذ هذا السكين اقتل به هذا الشخص ويكون هذا الشخص مثلا يلبس الدرع الواقي الذي لا يصل إليه الرصاص فضلا عن السكاكين فلا يستطيع، إذا اجتمع عندك الآن السلاح القوي واليد الضاربة لكن وجد مانع منع من إتمام عملية الدفع أو القتل أو نحو ذلك.

إذا السلاح ليس فقط بحده وإنما بضاربه لا بد أن يكون المحل قابلا، المكان الذي تضرب فيه بالسلاح قابل، لا تأتي على الصخر وتريد أن تشق الصخرة بالسكين أو بسيف، لا يستطيعه أقوى الناس، كذلك الدعاء، قد تسمع أن بعض الناس أو جاء عن النبي ﷺ مر على شخص فوجده يدعو فأثنى عليه وأجيب دعاؤه فقد يأخذ الإنسان هذا الدعاء ويذهب يدعو به لكنه لا يجاب لوجود موانع أو لتخلف أحد هذه الأسباب التي ذكرناها،

مثل الدواء، قد تسمع أن واحدا أخذ دواء فشفي من مرض معين يعاني منه عدد من الناس فيذهب إنسان آخر يأخذ هذا الدواء لكنه لا يحصل له الشفاء فيستغرب ويستعجب كيف أن هذا أخذ هذا الدواء فشفي وذاك أخذ هذا الدواء ولم يشف، والجواب واضح أن الأجسام تختلف في قبولها للدواء، في دفعها للداء وفي معالجتها للمرض، وغير ذلك،

قد تجد إنسانا عند قبر من القبور يدعو الله جل وعلا فيستجاب له، فيظن الظان أن هذه الإجابة حصلت بسبب وجود هذا الشخص عند هذا القبر فيظن أن السر في صاحب القبر، دعا عند قبر فلان البدوي أو قبر الشيخ عبد الله أو غيره فاستجيب له فيظن أن السر في هذا ولكن السر ليس في هذا، السر- في الاضطرار الذي حصل من هذا الشخص والانكسار وصدق اللجوء إلى الله جل وعلا من هذا الشخص الذي حصل في ذلك المكان، ولو كان حصل في أحد المساجد أو البقاع الطاهرة لكان هذا له الثواب الأوفى، فيأتي شخص فيظن أن فلانا وقف عند قبر فلان ودعا فاستجيب له، وليس السر- في صاحب القبر أو في وجوده عند القبر وإنما السر في اضطرار هذا الشخص، لأن الله قال ﴿**أمن يجيب المضطر إذا دعاه**﴾ سبحانه وتعالى.

إذا هناك آداب لا بد من مراعاتها في دعاء الداعي،

منها: الإخلاص في دعائه

ومنها: صدق اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى وإظهار الافتقار والاضطرار في طلب الحاجة من الرب الكريم الذي يهب الحاجات ويلبي الرغبات جل وعلا ويجيب الدعوات، الافتقار والانكسار بين يدي الله سبحانه وتعالى، ومن ذلك أيضا أن الإنسان يلتمس أوقات الإجابة الفاضلة وأماكن الإجابة الفاضلة كذلك،

أوقات الإجابة الفاضلة : كالثلث الأخير من الليل والسجود والدعاء بين الأذان والإقامة والساعة التي في الجمعة على خلاف فيها هل هي من جلوس الخطيب إلى انتهاء الخطبة أو قبل المغرب،

وأماكن الإجابة كالدعاء عند بيت الله جل وعلا أو في الصلاة أو في الطواف أو نحو ذلك.

كذلك مما ينبغي أن يراعيه الشخص في دعائه ما ذكره ربنا جل وعلا في قوله ﴿**ادعوا ربكم تضرعا وخفية**﴾ التضرع وإخفاء الدعاء، لأن الله جل وعلا ذكر عبده زكريا فأثنى عليه، ﴿**إذ نادى ربه نداء خفيا**﴾ ذكر عبدا فرضي قوله كما قال الحسن البصري.

وذكر ابن القيم فوائد أو عشر فوائد لإخفاء الدعاء منها:

الإخلاص

ومنها عدم التشويش على الآخرين

ومنها إظهار الافتقار والحاجة،

ومنها أن الملوك لا ترفع عندهم الأصوات وإنما يهمس لهم بالحاجات وتخفض عندهم الأصوات، وغير ذلك،

﴿**ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين**﴾ وهذا تنبيه على محاذير الدعاء والذي منها هذا الباب

قوله تعالى: ﴿**إنه لا يحب المعتدين**﴾ الاعتداء في الدعاء مما ينبغي على المؤمن أن يحذر منه، والاعتداء في الدعاء له صور، كأن يدعو الإنسان بما لا يليق، يقول: اللهم اجعل ابني هذا نبيا كيوسف مثلا، أو اجعل هذا نبيا كموسى عليهما السلام، هذا من الاعتداء في الدعاء،

كذلك من الاعتداء في الدعاء أن يقول: اللهم أسكني القصر الأبيض على يمين الداخل إلى الجنة، يعني يريد مكانا محددا في موضع محدد في الجنة، وهذا من الاعتداء في الدعاء لأنه إذا دخل الجنة فلا يحتاج أن يحدد قصرا أبيضا ولا عينا معينة ولا شجرة معينة، لأن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

كذلك من الاعتداء في الدعاء : تعليق الدعاء بالمشيئة وعدم العزم فيه وعدم الجزم فيه،

كأن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، اللهم أعطني إن شئت، اللهم ارزقني إن شئت، هذه كلها روايات في الصحيحين، وكما قال الحافظ هي أمثلة،

والعجيب أنك تجد الآن بين الناس هذا موجودا حتى عند بعض طلاب العلم، يعلق الدعاء بالمشيئة، يقول نسأل الله أن يرزقك النجاح إن شاء الله، لا، السنة أن تعزم وتجزم في الدعاء، وإن كان بعض أهل العلم تساهل في الفرق بين دعاء الله جل وعلا مباشرة وبين الإخبار في الدعاء أنه لا بأس أن يقال فيه إن شاء الله لكن ظاهر الأحاديث أنه ينبغي الجزم في الدعاء،

وهذا الحديث : «**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت**» النهي هنا فيه قولان لأهل العلم، منهم من جزم بالتحريم، قال هذا النهي للتحريم، كابن عبد البر، والحافظ ابن حجر قال هو الظاهر، يعني هو الظاهر في لفظ الحديث، ولكنه في الأخير رجح قول النووي بأن هذه كراهة تنزيه، فهذا الحديث فيه لفظان، فيه أمر وفيه نهي،

«**لا يقل أحدكم**»، ثم قال: «**ليعزم المسألة**» ، هذا مما يقوي جانب الحظر والمنع والتحريم، وهذا الذي رجحه الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى،

إذا هذا من المحاذير التي ينبغي للمسلم أو الداعي أن ينتبه لها، ألا يعلق الدعاء على المشيئة، لأن تعليق الدعاء على المشيئة فيه أو يفيد عدة معان، أولا:

أنه لا فائدة من تعليق الدعاء على المشيئة، لأن الله جل وعلا يفعل الشيء إذا شاءه سبحانه وتعالى، إذا شاء أن يفعل فعل، فكما يقول ابن عبد البر هذا كلام مستحيل، يعني لا معنى له، هذا كلامه في التمهيد، أن هذا الكلام لا معنى له، اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، وربنا جل وعلا يفعل بمشيئته ويعطي بمشيئته ويرزق بمشيئته ويغفر بمشيئته، فلا معنى لقولك اغفر لي إن شئت،

الأمر الثاني: أن قول القائل: اللهم اغفر لي إن شئت، يشعر بفتور هذا الداعي، وعدم رغبته في تحقيق إجابته، يعني إن شئت أعطني وإن شئت لا تعطني، فهو يظن أنه مستغن عن العطاء، عنده ما يكفيه، إن شئت ارحمني، يعني ومعنى كلامه فإن لم تشأ فلا حاجة له في الرحمة، فهذا ينبئ عن فتور الداعي وعدم رغبته في تحقيق سؤاله وإجابة دعوته، فهو يشعر باستغناء هذا الداعي عن ربه سبحانه وتعالى، ولا أحد يستغني عن ربه جل وعلا طرفة عين ولا أقل من ذلك.

أيضا مما يشعره هذا التعليق بالمشيئة أو بالشرط ما جاء في الحديث منصوصا عليه «**فإن الله لا مكره له**» كأن هذا الداعي يقول: إن كان هذا الشيء صعبا فلا تعطني إياه وإن كان الأمر يسيرا فأعطنيه، كأن هذا يقيسه بالمخلوق، أنت قد تطلب من مخلوق شيئا عظيما كبيرا عليه فيتحرج من إعطائك إياه، فتقول له حسب رغبتك إن شئت، فالله جل وعلا لا يتعاظمه شيء، كل شيء عنده سهل وهين يسير، كل أمر عليه يسير سبحانه وتعالى، ﴿**ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة**﴾، خلق هذا الخلق وبعث هذا الخلق مرة ثانية كخلق

أو بعث نفس واحدة، كل أمر عليه يسير سبحانه وتعالى وهين ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى،

لذلك قول القائل: اللهم اغفر لي إن شئت، يتضمن كل هذه المعاني التي ذكرناها، يدل على فتور هذا الداعي وعدم رغبته فيما عند ربه سبحانه وتعالى، أو يدل على أن أحدا يكره الله جل وعلا على فعل شيء ،. تعالى الله جل وعلا عن ذلك فإنه كما جاء في الحديث «**لا مكره له ولا مستكره له**» كما جاء في الرواية الأخرى،

لذلك هذا الباب الذي عقده المؤلف بقوله: باب قول اللهم اغفر لي إن شئت، له تعلق بأنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

قول اللهم اغفر لي إن شئت فيه قدح في توحيد الربوبية لأنه يشعر أن الله جل وعلا يتعاظمه شيء وأن له مكرها وأن هناك ما لا يستطيع أو ما يثقل عليه أن يفعله سبحانه وتعالى، وهو جل وعلا الملك المتصرف في كونه المدبر لأمور خلقه جل وعلا، لا يتعاظمه شيء،

وفيه قدح أيضا في توحيد العبادة من ناحية العبد، أن هذا يشعر بأن هذا العبد في دعائه فتور، ليس عنده إلحاح أو أن عنده استغناء عما في يدي ربه جل وعلا، فهذا قدح في توحيد العبادة،

كذلك فيه قدح في توحيد الأسماء والصفات، ففيه قدح في جوده جل وعلا وكرمه فهو الغني الكريم الجواد الذي يجود بالنوال قبل السؤال سبحانه وتعالى ويعطي قبل

السؤال، لكنه جل وعلا يحب العبد الذي يلح في دعائه ويلهج لسانه بكثرة الطلب، يا رب يا رب يا رب، وينكسر بين يديه جل وعلا ويظهر الافتقار والحاجة،

يسأل ربه جل وعلا بالافتقار والتذلل وإظهار الحاجة والمسكنة، ويقول: يا رب أنا العبد الفقير المسكين المحتاج إلى نوالك وعطائك وعظيم فضلك لا تحرمنا من عظيم فضلك ونوالك، كما قال موسى عليه السلام ﴿**رب إني لما أنزلت علي من خير فقير**﴾ يظهر العبد فقره ومسكنته مهما كان عنده من الخير والغنى والثروة وغير ذلك، ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد**﴾،

ولك عبرة في توحيد الأنبياء، يوسف عليه السلام لما جلس على عرش مصر ووصل إلى ما وصل إليه كما قال تعالى: ﴿ **رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين**﴾، توفني مسلما: قالوا إنها على أحد التفسيرين،

إما أن يكون المقصود بها هنا يعني إذا توفيتني، وقت الوفاة توفني على الإسلام، أو أنه طلب تعجيل الوفاة كما إذا خاف الإنسان على نفسه الفتنة فإنه لا مانع عندئذ أن يطلب من ربه جل وعلا أن يتوفاه على الإيمان والإسلام، كما قالت مريم عليها السلام ﴿**يا ليتني مت قبل هذا**﴾، ثم قال: ﴿**وألحقني بالصالحين**﴾ نبي كريم يدعو الله جل وعلا أن يلحقه بالصالحين، انظر الأدب والافتقار، ألحقني بالصالحين، من الأنبياء والمرسلين ممن سبقوه،

كذلك دعا إبراهيم عليه السلام،. قال أيضا ﴿**رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين**﴾ قالوا الحكم الذي طلبه إبراهيم عليه السلام النبوة، أو العلم، ﴿**رب هب لي حكما**﴾ وقيل اللب ﴿**وألحقني بالصالحين**﴾

وإبراهيم أبو الأنبياء عليه الصلاة والسلام، من ذريته إسحاق ومن ذرية إسحاق يعقوب، ومن ذريته إسماعيل ونبينا عليه الصلاة والسلام من ذرية إسماعيل، ومع ذلك فهو يدعو هذا الدعاء الذي فيه افتقار ﴿**رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين**﴾،

ونبينا الكريم ﷺ يقول في الدعاء الذي علمه الحسن المشهور بدعاء القنوت «**اهدني فيمن هديت**» فهذا توسل إلى الله جل وعلا بإحسانه وهدايته لمن هدى، ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾،

فهذه دعوة الأنبياء فيها الافتقار إلى الله جل وعلا والانكسار بين يديه وإظهار الحاجة والضعف، فقول القائل أو قول الداعي: اللهم اغفر لي إن شئت، كما قلنا يدل على فتور الرغبة وضعف الهمة وعدم عنايته بتحقق إجابته لدعائه، وهذا فيه نقص في توحيده وطعن في توحيده، لذلك المؤلف عقد هذا الباب.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:

الأمور كلها وإن كانت بمشيئة الله وإرادته فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة والمغفرة، (المطالب نوعان: مطالب دينية ومطالب دنيوية)

والمطالب الدنيوية المعينة على الدين كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك قد أمر العبد أن يسألها من ربه طالبا ملحا جازما، يعني أمر العبد أن يلح في الطلب وأن يجزم في الطلب وأن يطلبها طلب المفتقر المحتاج،

ثم يقول الشيخ: وهذا الطلب عين العبودية ومخها، عندما ترفع يديك تقول يا رب أعطني يا رب أنا المسكين أنا الفقير يا رب أنا المحتاج أنا الضعيف أعطني لا تحرمني بذنبي ولا تحرمني بسوء فعلي وغير ذلك،

يقول الشيخ السعدي: ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم، يعني يجزم الإنسان في طلبه، لا يعلق بالمشيئة، فيقول: إن شئت أعطني وإن شئت لا تعطني، إن شئت اغفر لي وإن شئت لا تغفر لي، إن شئت ارزقني وإن شئت لا ترزقني، لا،

يقول: ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة لأنه مأمور به، وهو خير محض لا ضرر فيه، يعني هذا الدعاء ليس فيه ضرر فلماذا تعلقه بالمشيئة، والله تعالى لا يتعاظمه شيء.

ثم يشير لفائدة مهمة يقول:

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها،

يعني ماذا؟ يعني هناك بعض الأمور أنت لا تعرف هل هي نافعة لك أم لا هل هي مضرة لك فلا تطلبها أم لا؟ فشُرع لك عند ذلك الاستخارة أو التعليق كما جاء في الحديث

**«لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كنت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي»**

فهنا الآن أنت علقت، لماذا؟ لأنك لا تدري هل الأفضل لك مثلا في وقت من الأوقات في زمن من الأزمان، أزمان الفتن الحياة أم الموت مثلا،

كذلك الاستخارة كمن يريد سفرا ولا يدري هل هذا السفر خير له أم البقاء خير له فيدعو بدعاء الاستخارة: اللهم إن كان هذا الأمر – وهو أن أسافر أو أن أبقى– إن كان هذا الأمر خيرا لي في ديني ومعاشي أو عاجل أمري وعاجله فاقدره لي، والعكس، فيقول الشيخ: ولا يجزم أن حصولها خير للعبد فالعبد يسأل ربه ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الأمرين، كالدعاء المأثور « **اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي** » وكدعاء الاستخارة فافهم هذا الفرق اللطيف البديع، بين ما كان فيه خير محض أنت تعلمه وما كان فيه احتمال.

قوله: «**في الصحيح**» يعني في الصحيحين، في البخاري ومسلم ،

وقد رواه البخاري في كتاب الدعوات، وهو في كتاب التوحيد أيضا، « **عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت»** »

لا: هنا ناهية وهي جازمة، وذكرنا الخلاف في إفادة النهي التحريم أم الكراهة،

(لا يقل أحدكم اللهم)، وأصلها يا الله، لكن لكثرة الاستعمال حذفت الياء وعوض عنها بالميم في الأخير تيمنا باسم الله جل وعلا وتبركا بذكر اسمه،

(اللهم اغفر لي) وهذا مأخوذ من الغفر، ومنه المغفر الذي يلبس في الرأس، فالمغفرة ستر الذنب مع التجاوز عنه،

(إن شئت) قال القرطبي: هذا نهي عن هذا القول أو نهى عن هذا القول لأنه يدل على فتور الرغبة وقلة تمام المطلوب، فإن هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب حصل وإلا استغنى عنه، ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حاجته للافتقار والاضطرار الذي هو روح العبادة.

قال: «**ليعزم المسألة**» قال الحافظ: معناه الجد فيه وأن يجزم بوقوع مطلوبه، هناك حديث فيه ضعف لكن له شاهد: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**» رواه الترمذي وفيه ضعف، ولكن له شاهد حسن عند الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا «**القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا سألتم الله عز وجل فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل**» قال: «**ليعزم المسألة**» يعني ويحقق الرغبة ويتيقن الإجابة.

المناوي يقول في شرحه لهذا الحديث: إحسانا للظن بكرم الله تعالى، «**فإن الله لا مكره له**» فهذا من تمام ربوبيته جل وعلا، فمن تمام الربوبية أنه لا أحد يكرهه على فعل شيء سبحانه وتعالى ولا ترك شيء، فلا يضطره دعاء ولا غيره إلى فعل شيء بخلاف العبد فقد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه أو لخدمته أو لخوفه ،.

فهنا يعلق المشيئة بخلاف الرب تبارك وتعالى فلا يعطي عبده شيئا عن كراهة ولا عظم مسألة بل عطاؤه دائم سبحانه وتعالى،

ثم قال: « **ولمسلم**: «**ولْيُعَظّم الرغبة**» » يعني يسأل ربه جل وعلا برغبة عظيمة مع الافتقار وإظهار شدة الحاجة، والرغبة الحاجة والطلب، كما قال تعالى ﴿**وإلى ربك فارغب**﴾، «**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**» بل كل شيء عنده هين سبحانه وتعالى، فلا يكون الشيء عنده عظيما حتى يمنعه بخلا أو عجزا، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه، فيعطي العظائم جل وعلا كرما وجودا ومنة وإحسانا،

فينبغي على العبد ألا يقتصر على الشيء الداني، فيظن أن هذا الشيء هين على الله جل وعلا، ويترك العظائم، والله جل وعلا لا يتعاظمه شيء أعطاه سبحانه وتعالى، بخلاف

المخلوق، فإن عطاءه جل وعلا كلام، ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون**﴾ لكنه جل وعلا يعطي لحكمة ويمنع لحكمة،

قال: «**فيه مسائل: الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء** » الاستثناء يعني الشرط، اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، هذا المقصود بالاستثناء،

« **الثانية: بيان العلة في ذلك** » وهو الشعور بالاستغناء عن الله أو أن له مكرها،

«**الثالثة: قوله: «ليعزم المسألة»**» يعني لا يتردد،

« **الرابعة: إعظام الرغبة** » يسأله برغبة عظيمة مع شدة الافتقار والحاجة،

« **الخامسة: التعليل لهذا الأمر** » فإن الله جل وعلا لا يكرهه شيء ولا يتعاظمه شيء.